معاوية بن أبي سفيان

اسمه ونسبه:

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمير المؤمنين، ملك الإسلام، أبو عبد الرحمن القرشي، الأموي، المكي.

وأمه: هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي[1].

صفاته الخَلقية:

كان معاوية طويلاً، أبيض، جميلاً، إذا ضحك انقلبت شفته العليا، وكان يخضب.

روى: سعيد بن عبد العزيز، عن أبي عبد رب قال: رأيت معاوية يخضب بالصفرة، كأن لحيته الذهب[2].

معاوية كسرى العرب:

قال المدائني: كان عمر إذا نظر إلى معاوية، قال: هذا كسرى العرب.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ١٢٠.

(٢) النجوم العوالي للعصامي، ٢/ ٦٨، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ١٢٠.

obeikandi.com

وعن أبان بن عثمان قال: كان معاوية وهو غلام يمشي مع أمه هند، فعثر، فقالت: قم، لا رفعك الله، وأعرابي ينظر.

فقال: لم تقولين له؟ فوالله إني لأظنه سيسود قومه.

قالت: لا رفعه إن لم يسد إلا قومه[١].

إسلامه:

قال معاوية بن أبي سفيان: لما كان عام الحديبية وصدت قريش رسول الله ﷺ عن البيت، ودافعوه بالراح، وكتبوا بينهم القضية وقع الإسلام في قلبي، فذكرت ذلك لأمي هند بنت عتبة فقالت: إياك أن تخالف أباك، وأن تقطع أمراً دونه فيقطع عنك القوت، وكان أبي يومئذ غائباً في سوق حباشة.

قال: فأسلمت وأخفيت إسلامي، فوالله لقد رحل رسول الله ﷺ من الحديبية وإني مصدق به، وأنا على ذلك أكتمه من أبي سفيان، ودخل رسول الله ﷺ عمرة القضية وأنا مسلم مصدق به؛ وعلم أبو سفيان بإسلامي فقال لي يوماً: لكن أخاك خير منك، وهو على ديني، فقلت: لم آل نفسي خيراً.

قال: فدخل رسول الله ﷺ عام الفتح، فأظهرت إسلامي ولقيته فرحب بي، وكتبت له[٢].

فضائل معاوية من القرآن:

ـ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ١٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ١٢٢، تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٩/ ٦٧.

ومعاوية رضي الله عنه من الذين شهدوا غزوة حُنين المقصودة في الآيات، وكان من المؤمنين الذين أنزل الله سكينتَه عليهم مع النبي ﷺ.

ـ وقال جلَّ وعلا: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

ومعاوية رضي الله عنه لا يخلو أن يكون على حالَين: أن يكون قد أسلم قبل فتح مكة كما رجّح وصحّح الحافظُ ابنُ حَجَر، أو يكون بعد ذلك، وقد أنفق وقاتل في حُنين والطائف مع رسول الله ﷺ، فهو ممن وعَدَهم الله الحُسنى بنص الآية، والحُسنى: الجنّة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٢].

ـ وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وساعةُ العُسرة هي غزوةُ تَبُوك، وقد شَهِدَها معاوية رضي الله عنه[(١)].

فضائل معاوية من السنة[(٢)]:

ـ عن عبد الرحمن بن أبي عميرة قال: قال النبي ﷺ لمعاوية: «**اللهم**

---

(١) انظر الأموال لأبي عبيد، ص٦٢٩، مسند أحمد ٣/ ٤٤٢، وقال فيه ابن كثير لا بأس بسنده، الحلية ٩/ ١٥٥، منهاج السنة، ٤/ ٤٢٩.

(٢) هذه الأحاديث أشبعها تحقيقاً العلامة محمد الأمين الشنقيطي في بحث بعنوان: الأحاديث النبوية في فضائل معاوية بن أبي سفيان وأتى فيه بالشواهد الكافية التي تثبت صحتها.

اجعلهُ هادِياً مَهديّاً واهده واهدِ به»[١].

ـ عن عبد الرحمن بن أبي عميرة عن النبي قال: «**اللهم علم معاوية الحساب وقِهِ العذاب**».[٢]

ـ وأخرج البخاري أيضاً من طريق أم حرام بنت ملحان ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا**».

قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: «**أنت فيهم**».

ثم قال النبي ﷺ: «**أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر** (أي القسطنطينية) **مغفور لهم**». فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «**لا**»[٣].

ومعنى «أوجبوا»: أي فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة، قاله ابن حجر في الفتح[٤].

قال المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي الأندلسي (ت ٤٣٥هـ) معلقاً على هذا الحديث: «في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر»[٥].

ـ وعن يحيى بن سعيد قال: سمعت جدي يحدث أن معاوية أخذ الإداوة بعد أبي هريرة يتبع رسول الله ﷺ بها، واشتكى أبو هريرة.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري بسند صحيح في التاريخ الكبير، ٥/ ٢٤٠، مسند الشاميين للطبراني، ١/ ١٩٠، والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم، ٢/ ٣٥٨.

(٢) أحمد في مسنده، ٤/ ١٢٧، الطبراني في معجمه الكبير، ١٨/ ٢٥١، البخاري بإسناد صحيح في تاريخه الكبير، ٥/ ٢٤٠، الطبراني في مسند الشاميين، ١/ ١٩٠.

(٣) صحيح البخاري، باب ما قيل في قتال الروم، ٢٧٠٧.

(٤) فتح الباري، ٦/ ١٢١.

(٥) المصدر السابق، ٦/ ١٢٠.

فبينا هو يوضئ رسول الله ﷺ، رفع رأسه إليه مرة أو مرتين فقال: «**يا معاوية! إن وليت أمراً فاتق الله ﷻ واعدل**» .قال: «فما زلت أظن أني مبتلى بعمل لقول النبي ﷺ، حتى ابتليت»[١].

أخبار لا تصح في معاوية بين المدح والقدح[٢]:

قال ابن خُلدون في مقدمته:[٣]«وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل، غثاً أو سميناً».

وقد طفحت كتب الأخباريين والتواريخ بأخبارٍ عن معاوية، وجُلها مقاطيع ومراسيل، وهي ضعيفة، فهذا أكثر مَن نقل أخبار معاوية، وهو البلاذري في أنساب الأشراف[٤]، يقول: «قال لي هشام بن عمار: نظرتُ في أحاديث معاوية عندكم فوجدتُ أكثرها مصنوعاً».

ناهيك عن مصادر الأخبار غير الموثوقة أصلاً، كتواريخ الضعفاء المتروكين؛ أمثال أبي مخنف لوط بن يحيى الكوفي، والكلبي، والواقدي، والعباس بن بكار، ومثل كتابَي الأغاني ومقاتل الطالبيين لأبي الفَرَج الأصبهاني، أو كتب الرافضة: كالمسعودي[٥]، وابن أبي الحديد، أو

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ٤/ ١٠١.

(٢) هذه الأحاديث نبه إليها الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٣١.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ١/ ١٣.

(٤) أنساب الأشراف، تحقيق العظم، ٤/ ١٩.

(٥) طُبعت مؤخراً رسالة جامعية من إعداد إبراهيم بن يوسف الأقصم، بعنوان: الدولة الأموية في كتابات المسعودي، خلص فيها أن المسعودي يمثل وجهة نظر الخصم الشيعي في كتابة العهد الأموي، وأنه لم يكن حيادياً ولا موضوعياً ولا منصفاً، وأنه وقع في تناقضات عديدة، وأورد خرافات وموضوعات.

الكتب الموضوعة المنحولة: كالإمامة والسياسة، وتاريخ اليعقوبي، وكتاب السقيفة المنسوب للجوهري، أو الكتب غير المُسندة، أو غير المختصة: كالعقد الفريد، فضلاً عن كتابات أمثال طه حسين والعقّاد.

وبمثل هذه الأخبار يتعلق أعداء معاوية رضي الله عنه، وقد شاء الله أن يرفع درجات معاوية بكثرة من يسبُّه من الرافضة ومَن لا خَلاق له، وقد قام أولئك بوضع الكثير من الحكايات التي تطعن فيه، بل وصل الأمر إلى وضع أحاديث في كفره وشتمه رضي الله عنه، ولا يُستغرب ذلك من أكذب الناس، وهم الرافضة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر أن الرافضة أعظم الطوائف كذباً وجهلاً، وأن دينَهم يُدخِلُ على المسلمين كلَّ زِنديق ومُرتد: «إنهم.. يَعمدون إلى الصِّدق الظاهر يَدفَعونَه، وإلى الكَذِب المُختَلق الذي يُعلَمُ فسادُه يُقيمونَه».

ولهذا كانوا أبهت الناس وأشدَّهم فِريَة، مثلَ ما يَذكرونَ عن مُعاوية[1].

ومن أمثلة هذه الأخبار الباطلة جزء مطبوع باسم «أخبار الوافِدِين من الرجال من أهل البصرة والكوفة على معاوية بن أبي سفيان» المنسوب للعباس بن بكار الضبي، وهو رافضي كذاب[2]، بينما أُراه للحسن بن الحسين بن عاصم الهسنجاني، وهو كذاب أيضاً[3]. وقد أورد أخباره بلا سند.

---

(١) مجموع الفتاوى، ٤/ ٤٧٢.

(٢) لسان الميزان، ٣/ ٢٣٧.

(٣) الجرح والتعديل، ٣/ ٦، لسان الميزان، ٢/ ٢٠٠.

فإذا كان أحاديثُ وأخبارٌ قد وُضعت لها أسانيد تطعن في الصحابي الجليل معاوية، فكيف بالحكايات التي لا سند لها أصلاً؟!

ولا شك أن تاريخ معاوية خاصة، وخلفاء بني أُمَيَّة عامة، قد أصابه ظُلمٌ عظيم من قِبَل أعدائه المختلفين ـ سياسيين وعقائديين ـ وعلى الباحثين من أهل السنة الاجتهادُ في تخليص الأكاذيب عن ذلك العهد ـ بل القرن المفضّل ـ وتجلية واقعه عبر المنهج الحديثي العلمي.

وهذه بعض الأحاديث المكذوبة:

عن واثلة، مرفوعاً: (كاد معاوية أن يبعث نبياً من حلمه وائتمانه على كلام ربي).

وعن عثمان، مرفوعاً: (هنيئاً لك يا معاوية، لقد أصبحت أميناً على خبر السماء).

عن أبي موسى: نزل عليه الوحي، فلما سري عنه، طلب معاوية، فلما كتبها ـ يعني: آية الكرسي ـ قال: (غفر الله لك يا معاوية ما تقدم إلى يوم القيامة).

عن مري الحوراني، عن رجل: (نزل جبريل، فقال: يا محمد، ليس لك أن تعزل من اختاره الله لكتابة وحيه، فأقره، إنه أمين).

عن سعد، مرفوعاً: (يحشر معاوية وعليه حلة من نور).

عن أنس: هبط جبريل بقلم من ذهب، فقال: يا محمد، إن العلي الأعلى يقول: (قد أهديت القلم من فوق عرشي إلى معاوية، فمره أن يكتب آية الكرسي به، ويشكله، ويعجمه)...، فذكر خبراً طويلاً.

وعن ابن عباس، قال: لما أنزلت آية الكرسي، دعا معاوية، فلم يجد

قلماً، وذلك أن الله أمر جبريل أن يأخذ الأقلام من دواته، فقام ليجيء بقلم.

فقال النبي ﷺ: (خذ القلم من أذنك).

فإذا قلم ذهب، مكتوب عليه: لا إله إلا الله، هدية من الله إلى أمينه معاوية.

وعن عائشة مرفوعاً: كأني أنظر إلى سويقتي معاوية ترفلان في الجنة.

عن علي، قال: لأخرجن ما في عنقي لمعاوية، قد استكتبه نبي الله وأنا جالس، فعلمت أن ذلك لم يكن من رسول الله ﷺ ولكن من الله.

وعن جابر، مرفوعاً: (الأمناء عند الله سبعة: القلم، وجبريل، وأنا، ومعاوية، واللوح، وإسرافيل، وميكائيل).

وعن زيد بن ثابت: دخل النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ على أم حبيبة، ومعاوية نائم على فخذها.

فقال: (**أتحبينه؟**).

قالت: نعم.

قال: (لله أشد حباً له منك له، كأني أراه على رفارف الجنة).

وعن جعفر: أنه أهدي للنبي ﷺ سفرجل، فأعطى معاوية منه ثلاثاً، وقال: (إلقني بهن في الجنة).

قلت: وجعفر قد استشهد قبل قدوم معاوية مسلماً.

وعن حذيفة، مرفوعاً: (يبعث معاوية وعليه رداء من نور الإيمان).

عن أبي سعيد، مرفوعاً: (يخرج معاوية من قبره عليه رداء من سندس مرصع بالدر والياقوت).

عن أبي هريرة، مرفوعاً: (الأمناء ثلاثة: أنا، وجبريل، ومعاوية).

openkandil.com

عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ ناول معاوية سهماً، وقال: (خذه حتى توافيني به في الجنة).

عن أنس، مرفوعاً: (لا أفتقد أحداً غير معاوية، لا أراه سبعين عاماً؛ فإذا كان بعد أقبل على ناقة من المسك، فأقول: أين كنت؟)

فيقول: في روضة تحت العرش....

عن أبي برزة: كنا مع النبي ﷺ فسمع صوت غناء، فقال: (انظروا ما هذا؟). فصعدت، فنظرت، فإذا معاوية، وعمرو بن العاص يتغنيان، فجئت، فأخبرته، فقال: (اللهم اركسهما في الفتنة ركساً، ودعهما في النار دعاً).

وقالا: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه، قال كذباً.

وفي رواية العقيلي: إذا رأيتم معاوية على المنبر فاقتلوه[١].

ثناء الصحابة على معاوية، رضي الله عنهم أجمعين:

ـ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قُبيل وفاته: اللهم إنّي أُشهدك على أمراء الأمصار، وإنّي إنّما بعثتُهُم عليهم لِيَعدلوا عليهم، ولِيُعلِّموا الناسَ دينَهم وسُنَّةَ نبيّهم ﷺ، ويَقسموا فيهم فَيْئَهُم، ويَرفَعوا إلَيَّ ما أشكلَ عليهم مِن أَمرِهم[٢].

وقد توفي عمر ومعاوية أمير الشام، ثم جمع عمر الشام كلّها لمعاوية، وأَقرّه عثمان.

قال الذهبي: حسبُك بمن يُؤَمِّرُه عمر، ثم عثمان على إقليم ـ وهو ثغر ـ فيضبطُه ويقومُ به أتمّ قيام[٣].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٩/ ١٧٣.

(٢) رواه مسلم، ٥٦٧.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٣٢.

وقال ابن تيمية: «ولا استَعملَ عمرُ قَط؛ بل ولا أبو بكر على المسلمين مُنافقاً»[١].

ـ وروى أبو عبيد في الأموال عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال في الولاة: «والله ما آلو أن أختار خياركم».

ـ وعن سعيد المقبُري، قال: قال عمر بن الخطاب: «تَذكرونَ كِسْرَى وقَيْصَرَ ودَهاءَهُما؛ وعندَكم معاوية»[٢].

ـ كما كان معاويةُ أكبر ظَهيرٍ لعُثمانَ ﷺ أيامَ خلافَتِه، ولا سيما أيام فتنة مقتله ﷺ، وقد صحَّ عن أبي حَبيبة، أنه سمع أبا هريرة في الدارِ مع عثمان ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنكم تَلْقَونَ بَعدي فِتْنَةً واختلافاً**»، أو قال: «**اختلافاً وفِتنةً**». فقال له قائلٌ من الناس: فمَن لنا يا رسولَ الله؟ قال: «**عليكم بالأمينِ وأصحابِه**». وهو يُشير إلى عُثمانَ بذلك[٣].

ـ عن عائشة أم المؤمنين ﷺ قالت: إني لأتمنى أن يزيدَ اللهُ ﷻ معاويةَ مِن عُمري في عُمره[٤]. وسنده صحيح.

---

(١) مجموع الفتاوى، ٣٥/ ٦٥.

(٢) الطبري في التاريخ، ٥/ ٣٣٠، البلاذري، ٤/ ١٤٧.

(٣) أحمد، ٢/ ٣٤٥، الحاكم، ٣/ ٩٩ و٤/ ٤٣٣، البيهقي في الدلائل، ٦/ ٢٩٣ وسنده لا بأس به، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير: إسناده جيد حسن، ثم ساق له شواهد البداية والنهاية، ١٠/ ٣٧٤، وصححه لغيره في موضع آخر، ٩/ ١٧٣، وأبو حَبيبة هو مولى الزبير، وجَدُّ موسى بن عُقبة لأمِّه، وثَّقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، وروى عنه جمع من الثقات.

(٤) أبو عَرُوبة الحرَّاني في الطبقات، ص٤١.

وعن أم المؤمنين؛ أمِّ حَبيبة رضي الله عنها أنها قالت: «اللهم أمتعني بزوجي رسولِ الله ﷺ، وبأبي: أبي سُفيان، وبأخي معاوية»[١].

ـ وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنك إن تتبّعتَ عورات الناس أفسدتَهم. أو كِدتَ أن تُفسدَهم**». قال أبوالدرداء: كلمةٌ سَمِعَها معاويةُ نفعَهُ الله بها[٢].

قال: يعني أنه كان جيّدَ السريرة، حَسَنَ التجاوُز، جميلَ العفو، كثيرَ السِّتر رحمه الله[٣].

أهم صفاته:

اشتهر معاوية رضي الله عنه بصفات كثيرة، ومناقب جمة، رفعت من قدره عند المسلمين، وغير المسلمين، ومن أهمها:

الحلم:

لقد كان حلم معاوية ورحابة صدره مضرب المثل، وأخباره في ذلك كثيرة جداً، وقد أفرد الحافظان ابن أبي الدنيا وابن أبي عاصم تصنيفاً في حلم معاوية، وساق ابن عساكر في تاريخه الكثير من ذلك.

فعن الشعبي قال: كان دهاة العرب أربعة، فأما معاوية فللأناة والحلم[٤].

---

(١) مسلم في صحيحه، ٢٦٦٣.

(٢) رواه أبو داود، ٤٨٨٨، أبو يعلى، ١٣/ ٣٨٢، ابن حبان، ١٣/ ٧٢.
قال صاحب ظِلال الجنة، ٢/ ٥١٠ سنده صحيح، وهو كما قال، وللمرفوع طرق أخرى.

(٣) ابن كثير ١١/ ٤١٩.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٢٤٣، تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٩/ ١٩٠.

obeikandi.com

وعن سعيد الكلبي قال: خرج عبد الملك بن مروان ومعه نافع بن جبير بن مطعم، فوقف على راهب فذكر الراهب الخلفاء فأطرى معاوية.

فقال عبد الملك لنافع: لشدة ما أطرى ابن هند!

فقال نافع: إن ابن هند أصمته الحلم، وأنطقه العلم بجأش رابط وكف ندية.

وقال ابن عمر: معاوية من أحلم الناس.

قالوا: يا أبا عبد الرحمن، وأبو بكر؟

قال: أبو بكر خير من معاوية، ومعاوية من أحلم الناس[1].

قال عبد الملك بن مروان يوماً ـ وذكر معاوية ـ فقال: ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه.

وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت أحداً أعظم حلماً، ولا أكثر سؤدداً، ولا أبعد أناة، ولا ألين مخرجاً، ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية.

وقال بعضهم: أسمع رجلٌ معاويةَ كلاماً شديداً، فقيل له: لو سطوت عليه!

فقال: إني لأستحيي أن يضيق حلمي عن أحد من رعيتي.

وفي رواية: قال له رجل: يا أمير المؤمنين، ما أحلمك!

فقال: إني لأستحيي أن يكون جرم رجل أعظم من حلمي.

وقال الأصمعي عن الثوري قال: قال معاوية: إني لأستحي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أكبر من حلمي، أو تكون عورة لا أواريها بستري.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٩/ ١٧٧.

وقال الشعبي ـ والأصمعي، عن أبيه ـ قالا: جرى بين رجل يقال له: أبو الجهم، وبين معاوية كلام، فتكلم أبو الجهم بكلام فيه غم لمعاوية، فأطرق، ثم رفع رأسه فقال: يا أبا الجهم، إياك والسلطان، فإنه يغضب غضب الصبيان، ويأخذ أخذ الأسد، وإن قليله يغلب كثير الناس.

ثم أمر له بمال، فقال أبو الجهم في ذلك يمدح معاوية:

نميل على جوانبه كأنّا لعزَّتنا نميل على أبينا
نقلبه لنخبر حالتيه فنخبر منهما كرماً ولينا

وقال ابن أخته عبد الرحمن بن أم الحكم لمعاوية: إن فلاناً يشتمني.

فقال له: تطأطأ لها تمر فتجاوزك.

وقال ابن الأعرابي: قال رجل لمعاوية: ما رأيت أنذل منك.

فقال معاوية: بلى، من واجه الرجال بمثل هذا.

وقال بعضهم: قال معاوية: يا بني أمية! قاربوا قريشاً بالحلم، فوالله لقد كنت ألقى الرجل في الجاهلية فيوسعني شتماً وأوسعه حلماً، فأرجع وهو لي صديق، أستنجده فينجدني، وأثور به فيثور معي، وما رفع الحلم عن شريف شرفه، ولا زاده إلا كرماً.

وقال: آفة الحلم الذل.

وقال أيضاً: لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم.

وقال عبد الله بن الزبير: لله در ابن هند، والله إن كنا لنفرقه ـ وما الليث على براثنه بأجرأ منه ـ فيتفارق لنا، وإن كنا لنخدعه ـ وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه ـ فيتخادع لنا. والله لوددت أنّا متعنا به ما دام في هذا الجبل حجر. وأشار إلى جبل أبي قبيس.

وقال رجل لمعاوية: من أسود الناس؟

فقال: أسخاهم نفساً حين يسأل، وأحسنهم في المجالس خلقاً، وأحلمهم حين يستجهل.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كان معاوية يتمثل بهذه الأبيات كثيراً:

وما قتل السفاهة مثل حلم يعود به على الجهل الحليم
فلا تسفه وإن ملئت غيظاً على أحد فإن الفحش لوم
ولا تقطع أخاً لك عند ذنب فإن الذنب يغفره الكريم

وعن ابن عباس أنه قال: قد علمت بم غلب معاوية الناس، كانوا إذا طاروا وقع، وإذا وقعوا طار.

وقال غيره: كتب معاوية إلى نائبه زياد: إنه لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة؛ باللين فيمرحوا، ولا بالشدة فنحمل الناس على المهالك، ولكن كن أنت للشدة والفظاظة والغلظة، وأكون أنا للين والألفة والرحمة، فإذا خاف خائف وجد باباً يدخل.

وكان ابن عون يقول كان الرجل يقول لمعاوية: والله لتستقيمن بنا يا معاوية أو لنقومنك، فيقول لهم: بماذا؟ فيقولون: بالخشب[١].

عن مسلمة بن محارب قال: ذكر عبد الملك يوماً معاوية فقال: ما رأيت مثل ابن هند في حلمه واحتماله وكرمه، لقد خرج حاجبه في يوم رهان إلى المقصورة، وأنا وحدي فيها فنظر إلي ثم دخل وخرج معاوية فقمت إليه فتوكأ علي حتى انتهى إلى الخيل، فأرسلت فسُبق.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٩/ ١٨٤.

ثم خرج في الحلبة الأخرى وصنع مثلها فسُبق، فخرج في الحلبة الثالثة فخفت أن يتشاءم بي، فتنحيت فطلبني، فجئت وتوكأ عليَّ، وأجرى الخيل فسبق، فأقبل عليَّ فقال: يا ابن مروان، هكذا القرح، هات حوائجك.

قلت: ما لي حاجة.

قال: عزمت عليك، فما سألته شيئاً إلا أنعم لي وأضعف[١].

عن شعيب عن أبيه قال: قال معاوية: ما شيء أحمد عاقبة من جرعة غيظ أتجرعها.

وكان يقول: لا أضع لساني حيث يكفيني مالي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سَوطي، فإذا لم أجد من السيف بداً ركبته[٢].

خبر معاوية مع ابن الزبير:

كان لمعاوية بن أبي سفيان مزرعة في المدينة في جانب مزرعة عبد الله بن الزبير ابن حواري الرسول ﷺ، فدخل عمال معاوية في مزرعة عبد الله بن الزبير، فغضب ابن الزبير، وبينه وبين معاوية إحن.

فكتب لمعاوية:

إلى معاوية ابن هند آكلة الأكباد، أمَّا بَعْد:

فإن عمالك قد دخلوا مزرعتي، فأمرهم بالخروج، وإلا فوالله الذي لا إله إلا هو ليكونَنَّ لي ولك شأن، وذاك خليفة وهذا من الرعية، فالمكتوب إليه خليفة عنده السيف والجيش، فأتت الرسالة إلى معاوية،

---

(١) رواه البلاذري في أنساب الاشراف، ٥/ ٥٨.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٩/ ١٧٠.

وكان من أحلم الناس، فقرأ الرسالة، فعرضها على ابنه يزيد الذي لا نحبه ولا نسبه ـ كما قال الإمام أحمد ـ.

قال: ما رأيك في ابن الزبير كتب يتهددني؟

قال: أرسل إليه جيشاً، أوله في المدينة وآخره عندك يأتون برأسه!

قال: بل خيرٌ من ذلك زكاةً وأقرب رحماً. فأرسل له رسالة:

من معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن الزبير ابن أسماء ذات النطاقين، أمَّا بَعْد:

فوالله الذي لا إله إلا هو، لو كانت الدنيا بيني وبينك، لسلمتها إليك، ولو كانت مزرعتي من المدينة إلى دمشق لسلمتها إليك، فإذا أتتك رسالتي فخذ مزرعتي إلى مزرعتك وعمالي إلى عمالك، فإن جنة الله عرضها السماوات والأرض.

فلما وصلته الرسالة بكى حتى بلها بالدموع، ثم ذهب إلى معاوية في دمشق وسلم على رأسه، وقال: لا أعدمك الله حلماً أحلك في قريش هذا المحل[1].

العلم والفقه:

استفاد معاوية رضي الله عنه من ملازمته لرسول الله ﷺ علماً وتربية، وقد روى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة قد ذكرت بعضها، وقد روى له البخاري ومسلم مع شرطهما أن لا يرويان إلا عن ثقة ضابط صدوق.

---

(١) بحثت عن القصة في المراجع المعتمدة لكنني لم أقف عليها، ولم أنقلها حتى أثبت صحتها، وأستبعد أن تصل العداوة بين الصحابة لهذا الأمر من أجل أمر كهذا، ذكر القصة موقع الشبكة الإسلامية، دروس الشيخ عائض القرني، رقم الدرس ٣٩٨.

obeikandl.com

كما شهد له ابن عباس بالفقة، فعن ابن أبي مليكة قال: قيل لابن عباس رضي الله عنه: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أوتر إلا بواحدة؟

قال: أصاب. إنه فقيه. قال الشرّاح: أي مجتهد.

وفي رواية أُخرى للبخاري عن أبي مليكة قال: أوتر معاوية رضي الله عنه بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس رضي الله عنه، فأتى ابن عباس رضي الله عنه قال: دَعْهُ فإنه صحب رسول الله ﷺ.

كما كان معاوية كاتب رسول الله ﷺ، وذكره مفتي الحرمين أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري في خلاصة السير: إن كتَّابه ﷺ ثلاثة عشر: وعدَّ معاوية بن أبي سفيان، وقال: وكان معاوية وزيد ألزمهم لذلك وأخصهم به.

كما أن الفقهاء يعتمدون على اجتهاده ويذكرون مذهبه كسائر الصحابة، كقولهم: ذهب معاذ بن جبل، ومعاوية وسعيد بن المسيب إلى أنَّ المسلم يرث الكافر، وقولهم: رُوى استلام الركنين اليمانيين عن الحسن أو الحسين وصح عن معاوية.

وقال أبو الدرداء الصحابي لأهل الشام: ما رأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ، من إمامكم هذا ـ يعني معاوية ـ.

وكان رضي الله عنه حريصاً على تعليم الناس العلم، فعن أبي أمامة سهل بن حنيف قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان وهو جالس على المنبر، أذن المؤذن قال: الله أكبر الله أكبر.

قال معاوية: الله أكبر الله أكبر.

قال: أشهد أن لا إله إلا الله.

فقال معاوية: وأنا.

فقال: أشهد أن محمداً رسول الله.

فقال معاوية: وأنا، فلما قُضي التأذين، قال: يا أيها الناس، إني سمعت رسول الله ﷺ على هذا المجلس ـ حين أذن المؤذن ـ يقول ما سمعتم مني من مقالتي.

وكان رضي الله عنه يحث الناس على الفقه في الدين، ويروي لهم الأحاديث الدالة على أهمية التفقه في الدين، فعن الزهري قال: أخبرني حميد قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان يخطب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، ويعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي أمر الله**».

كما كان رضي الله عنه يكاتب أصحاب الرسول ﷺ، ليتعلم منهم ما سمعوه من رسول الله ﷺ، فعن وراد مولى المغيرة بن شعبة قال: كتب معاوية إلى المغيرة: اكتبْ إلي ما سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة، فأملى علي المغيرة، قال: سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**».

وقال ابن جريج: أخبرني عدة أن وراداً أخبره بهذا، ثم وفدت بعد إلى معاوية فسمعته يأمر الناس بذلك القول.

وكان رضي الله عنه حريصاً على اتباع السنة النبوية، فعن سعيد بن المسيب، وعن حمد بن عبد الرحمن بن عوف: أن معاوية لما قدم المدينة في آخر مقدمة قدمها، قال على منبر رسول الله ﷺ:

أين علماؤكم يا أهل المدينة؟ سمعت رسول الله ﷺ في هذا اليوم ـ يوم عاشوراء ـ يقول: «**من شاء منكم أن يصومه فليصمه**»، وفي رواية: «**وإني صائم**»، فصام الناس.

قال: وسمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا، وأخرج قَصة من شعر من كمه، فقال: إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم ـ يعني وصل المرأة شعرها بشعر آخر ـ.

وقد صح في عدد من الأحاديث لعن الواصلة والمستوصلة.

وفي رواية أخرى أنه قال لهم: إنكم أحدثتم أي حدث سوء. نهى رسول الله ﷺ عن الزور، سماه الرسول زوراً لما فيه من التزوير والتغرير، فهنا نراه حريصاً على إحياء سنة كصوم عاشوراء، الذي رأى أن الناس أهملوه، كما نراه حريصاً على إماتة بدعة ظهرت في الناس، وهي تقليد اليهوديات بوصل الشعر.

وروى عبد الرحمن بن هرمز الأعرج: أن العباس بن عبد الله بن عباس أنكح عبد الرحمن بن الحكم ابنته، وأنكحه عبد الرحمن ابنته، وقد جعلا ـ أي العقدين ـ صداقاً (أي كل منهما صداق الأخرى)، فكتب معاوية بن أبي سفيان ـ وهو خليفة ـ إلى مروان، يأمره بالتفريق بينهما، وقال في كتابه: هذا السِّفار الذي نهى عنه رسول الله ﷺ، فهو يراعي إقامة السنة في حياة الناس في الأمور كلها، أمور الفرد، وأمور الأسرة، وأمور الجماعة.

وكان رضي الله عنه لا يروي الحديث عن رسول الله إلا بمناسبة اقتضته: فقد ورد أنه دخل على عبد الله بن الزبير وابن عامر، فقام ابن عامر له، ولم يقم ابن الزبير، فقال معاوية: مَهْ، قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يَمثُل له عباد الله قياماً، فليتبوّأ مقعده من النار**».

وعن مجاهد وعطاء عن ابن عباس: أن معاوية أخبره أن رسول الله

قصر من شعره ـ أي في العمرة ـ بمِشْقَص، فقلنا لابن عباس: ما بلغنا هذا إلا عن معاوية، فقال: ما كان معاوية على رسول الله متّهماً.

وكما كان ﷺ يهتم بمذاكرة العلم ويحرص عليه، فعن عبد الله بن الحارث قال: دخلت مع ابن عباس على معاوية فأجلسه على السرير، وفي تلك القصة سأله معاوية عن مسألة فقهية، وكان ﷺ يعلم الناس ويحثهم على سؤاله والاستفادة من علمه، فقد خطب يوم جمعة وقال: أيها الناس أعقلوا قولي، فلن تجدوا أعلم بأمور الدنيا والآخرة مني، أقيموا وجوهكم وصفوفكم في الصلاة فلتقيمن وجوهكم وصفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم، خذوا على أيدي سفهائكم أو ليسلطنهم الله عليكم، فليسومنكم سوء العذاب، تصدَّقوا.

لا يقولنَّ الرجل: إني مقلٌّ؛ فإن صدقة المقلِّ أفضل من صدقة الغنى، إياكم وقذف المحصنات، وأن يقول الرجل: سمعت: وبلغني، فلو قذف أحدكم امرأة على عهد نوح لسُئل عنها يوم القيامة.

وكان ﷺ حريصاً على متابعة رسول الله ﷺ، فعندما دخل مكة سأل ابن عمر: أين صلى رسول الله ﷺ؟ فقال: اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة.

وكان ﷺ له اجتهاد في تعيين ليلة القدر، فقد روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن معاوية، قال: ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين.

وكان يعترف بالحجة والبرهان لغيره، فعن ابن عباس أنه طاف مع معاوية وكان معاوية يستلم الأركان بالبيت، فقال له ابن عباس ﷺ: إنه لا يُستلم هذان الركنان، فقال: ليس شيء من البيت مهجوراً.

وجاء في رواية: فقال له ابن عباس ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] فقال معاوية: صدقت.

ومن الأحكام التي قضاها معاوية، رضي الله عنه ما أخرجه ابن أبي شيبة من طريق عبد الله بن معقل قال: ما رأيت قضاء أحسن من قضاء قضى به معاوية، نرث أهل الكتاب ولا يرثونا، كما يحل النكاح فيهم، ولا يحل لهم[١].

الكرم:

اشتهر معاوية رضي الله عنه بالكرم والعطاء، وروى عنه الكثير من المواقف العظيمة في الجود والسخاء:

فعن سعيد بن عبد العزيز قال: قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار كانت عليها.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه قال: بعث معاوية إلى أم المؤمنين عائشة بمئة ألف، ففرقتها من يومها، فلم يبق منها درهم، فقالت لها خادمتها: هلا أبقيت لنا درهماً نشتري به لحماً؟! فقالت: لو ذكرتني لفعلت.

وقال عطاء: بعث معاوية إلى عائشة ـ وهي بمكة ـ بطوق قيمته مئة ألف، فقبلته.

عن عبد الله بن بريدة قال: قدم الحسن بن علي على معاوية فقال: لأجيزنك بجائزة لم يجز بها أحد كان قبلي، فأعطاه أربعمئة ألف ألف.

ووفد إليه مرة الحسن والحسين فأجازهما على الفور بمئتي ألف،

---

(١) سيرة معاوية بن أبي سفيان د. علي الصلابي، ص ١٦١وما بعدها بتصرف يسير.

obeikandl.com

وقال لهما: ما أجاز بها أحد قبلي، فقال له الحسين: ولم تعط أحداً أفضل منا.

وعن مغيرة قال: أرسل الحسن بن علي وعبد الله بن جعفر إلى معاوية يسألانه المال، فبعث إليهما أو إلى كل منهما بمئة ألف، فبلغ ذلك علياً، فقال لهما: ألا تستحيان: رجل نطعن في عينه غدوة وعشية تسألانه المال؟! فقالا: بل حرمتنا وجاد لنا.

وروى الأصمعي قال: وفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية، فقال للحسن: مرحبا وأهلاً بابن رسول الله ﷺ، وأمر له بثلاثمئة ألف، وقال لابن الزبير: مرحباً وأهلاً بابن عمة رسول الله ﷺ، وأمر له بمئة ألف.

وقال أبو مروان المرواني: بعث معاوية إلى الحسن بن علي بمئة ألف، فقال: لجلسائه: من أخذ شيئاً فهو له.

وبعث إلى الحسين بمئة ألف، فقسمها على جلسائه، وكانوا عشرة، فأصاب كل واحد عشرة آلاف.

وبعث إلى عبد الله بن جعفر بمئة ألف، فاستوهبتها منه امرأته، فأطلقها لها.

وأرسل مرة إلى مروان بن الحكم بمئة ألف، فقسم منها خمسين ألفاً، وحبس خمسين ألفاً.

وبعث إلى عبد الله بن عمر بمئة ألف، ففرق منها تسعين ألفاً، واستبقى عشرة آلاف؛ فقال معاوية: إنه لمقتصد يحب الاقتصاد.

وبعث إلى عبد الله بن الزبير بمئة ألف فقال للرسول: لم جئت بها

بالنهار؟ هلا جئت بها بالليل، ثم حبسها عنده، ولم يعط منها أحداً شيئاً، فقال معاوية: إنه لخب ضب، كأنك به قد رفع ذنبه وقطع.

وقال ابن داب: كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف، ويقضي له معها مئة حاجة، فقدم عليه عاماً، فأعطاه المال، وقضى له الحاجات، وبقيت منها حاجة واحدة، فبينما هو عنده إذ قدم أصبهبذ سجستان يطلب من معاوية أن يملكه تلك البلاد، ووعد من قضى له هذه الحاجة من ماله ألف ألف، فطاف على رؤوس الأمراء من أهل الشام وأمراء العراق، ممن قدم مع الأحنف بن قيس فكلهم يقولون له: عليك بعبد الله بن جعفر، فقصده الدهقان، فكلم فيه ابن جعفر معاوية، فقضى حاجته تكملة المئة حاجة، وأمر الكاتب فكتب له عهده، وخرج به ابن جعفر إلى الدهقان، فسجد له وحمل إليه ألف ألف درهم، فقال له ابن جعفر: اسجد لله، واحمل مالك إلى منزلك، فإنا أهل بيت لا نتبع المعروف بالمن، فبلغ ذلك معاوية فقال: لأن يكون يزيد قالها أحب إلي من خراج العراق، أبت بنو هاشم إلا كرماً.

وقال غيره: كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف، فاجتمع عليه في بعض الأوقات دين خمسمئة ألف، فألح عليه غرماؤه، فاستنظرهم حتى يقدم على معاوية، فيسأله أن يسلفه شيئاً من العطاء، فركب إليه، فقال له: ما أقدمك يا ابن جعفر؟ فقال: دين ألح علي غرماؤه.

فقال: وكم هو: قال: خمسمئة ألف.

فقضاها عنه، وقال له: إن الألف ألف ستأتيك في وقتها.

وعن قتادة قال: قال معاوية: يا عجباً للحسن بن علي! شرب شربة

عسل يمانية بماء رومة فقضى نحبه، ثم قال لابن عباس: لا يسوءك الله ولا يخزيك في الحسن بن علي، فقال ابن عباس لمعاوية: لا يخزيني الله ولا يسوءني ما أبقى الله أمير المؤمنين.

قال: فأعطاه ألف ألف درهم وعروضاً وأشياء، وقال: خذها فاقسمها في أهلك.

وقال أبو الحسن المدائني، عن سلمة بن محارب قال: قيل لمعاوية: أيكم كان أشرف: أنتم أو بنو هاشم؟ قال: كنا أكثر أشرافاً وكانوا أشرف واحداً: لم يكن في عبد مناف مثل هاشم، فلما هلك كنا أكثر عدداً وأكثر أشرافاً، وكان فيهم عبد المطلب، ولم يكن فينا مثلهم، فصرنا أكثر عدداً وأكثر أشرافاً ولم يكن فيهم واحد كواحدنا، فلم يكن إلا كقرار العين حتى جاء شيء لم يسمع الأولون بمثله، ولا يسمع الآخرون بمثله: محمد ﷺ[1].

الدهاء والذكاء:

عن الشعبي قال: كان دهاة العرب أربعة، فأما معاوية فللأناة والحلم[2].

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة، فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه تفّاحة القلب.

فقال: انبذها عنك.

قال: ولم؟

قال: لأنهن يلدن الأعداء ويقرّبن البعداء، وورثن الضغائن.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١١/ ٤٤٤ وما بعدها.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٩/ ١٩٠.

فقال: لا تقل ذاك يا عمرو، فوالله ما مرّض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأحزان مثلهن، وإنك لواجدٌ خالاً قد نفعه بنو أخته، فقال له عمرو: ما أعلمك إلا حببتهنّ إليّ[١].

وجاء رجل إلى حاجب معاوية، فقال له: قل له: على الباب أخوك لأبيك وأمك، ثم قال له: ما أعرف هذا؟ ثم قال: ائذن له، فدخل، فقال له: أي الأخوة أنت؟ فقال: ابن آدم وحواء، فقال: يا غلام، أعطه درهما، فقال: تعطي أخاك لأبيك وأمك درهماً؟ فقال لو أعطيت كل أخ لي من آدم وحواء ما بلغ إليك هذا[٢].

وذُكر أن رجلاً سأل من معاوية أن يساعده في بناء دار باثني عشر ألف جذع من الخشب.

فقال له معاوية: أين دارك؟ قال: بالبصرة. قال: وكم اتساعها؟

قال: فرسخان في فرسخين.

قال: لا تقل داري بالبصرة، ولكن قل: البصرة في داري[٣].

وقيل لمعاوية بن سفيان يوم صفين: إنك تقدم حتى نقول: إنك تقبل، وإنك أشجع الناس، وتتأخر حتى نقول: إنك تفر، وإنك أجبن الناس، قال: أتقدم إذا كان التقدم غنماً، وأتأخر إذا كان التأخر عزماً[٤].

وكان عمرو بن العاص يقول في معاوية: اتقوا أكرم قريش وابن

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة، ١/ ٣١٤.
(٢) الأذكياء لابن الجوزي، ١/ ١٢.
(٣) البداية والنهاية، ١١/ ٤٥٣.
(٤) بهجة المجالس وأنس المجالس يوسف بن عبد الله البر القرطبي، ١/ ١٦.

openkandil.com

كريمها، من يضحك في الغضب، ولا ينام إلا على الرضا، ويتناول ما فوقه من تحته.

وقال معاوية: إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبداً.

فقيل له: وكيف ذلك؟

قال: كنت إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها[١].

وقال عمرو بن العاص: رأيت معاوية في بعض أيامنا بصفين خرج في عدة لم أره خرج في مثلها، فوقف في قلب عسكره، فجعل يلحظ ميمنته فيرى فيها الخلل، فيبدر إليه من يسده؛ ثم يفعل ذلك بميسرته، فتغنيه اللحظة على الإشارة، فدخله زهو مما رأى، فقال: يا ابن العاص، كيف ترى هؤلاء وما هم عليه؟

فقلت: والله يا أمير المؤمنين، لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا، فما رأيت أحداً تأتى له من طاعة رعيته ما تأتى لك من هؤلاء.

فقال: أفتدري متى يفسد هذا؟ وفي كم ينتقض جميعه؟ قلت: لا، قال: في يوم واحد. قال: فأكثرت التعجب.

قال: إي والله، وفي بعض يوم، قلت: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: إذا كذبوا في الوعد والوعيد، وأعطوا على الهوى لا على الغناء، فسد جميع ما ترى[٢].

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، ٢/ ١٧٣، العقد الفريد لابن عبد ربه، باب حسن السياسة وإقامة المملكة، ١/ ٦.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه، باب حسن السياسة وإقامة المملكة، ١/ ٦.

وعن المسور بن مخرمة: أنه وفد على معاوية، قال: فلما دخلت عليه حسبت أنه قال: سلمت عليه، فقال: ما فعل طعنك على الأئمة يا مسور؟ قال: قلت: أرفضنا من هذا، وأحسن فيما قدمنا له، قال: لتكلِّمني بذات نفسك، قال: فلم أدع شيئاً أعيبه عليه إلا أخبرته به، فقال: لا تبرأ من الذنوب، فهل لك من ذنوب تخاف أن تهلكك إن لم يغفرها الله لك، قال: قلت: نعم، يعني قال: فما يجعلك أحق بأن ترجو المغفرة مني؟ فوالله لما إلي من الصلاح بين الناس وإقامة الحدود، والجهاد في سبيل الله، والأمور العظام التي نحصيها، والتي لا نحصيها أكثر مما نلي، وإني لعلى دين يقبل الله فيه الحسنات، ويعفو عن السيئات، والله على ذلك ما كنت لأخير بين الله وغيره إلا اخترت الله على ما سواه، قال: ففكرت حين قال لي ما قال، فعرفت أنه قد خصمني، قال فكان إذا ذكره بعد ذلك دعا له بخير[١].

مكانته:

قال محمد بن يحيى بن سعيد: سئل ابن المبارك عن معاوية، فقال: ما أقول في رجل قال رسول الله ﷺ سمع الله لمن حمده، فقال خلفه: ربنا ولك الحمد، فقيل له: أيهما أفضل هو أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لتراب في منخري معاوية مع رسول الله ﷺ خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز.

روى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية، فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل علياً، فقال له أبو زرعة: ويحك! إن رب معاوية رحيم وخصم معاوية خصم كريم فإيش دخولك أنت بينهما؟

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ٨/ ١٤٢، سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ١٥٠، تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٩/ ١٦١.

وسئل الإمام أحمد عما جرى بين علي ومعاوية فقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وكذا قال غير واحد من السلف.

وقال الأوزاعي: سئل الحسن عما جرى بين علي وعثمان فقال: كانت لهذا سابقة ولهذا سابقة، ولهذا قرابة ولهذا قرابة فابتلى هذا وعوفي هذا.

وسئل عما جرى بين علي ومعاوية فقال: كانت لهذا قرابة ولهذا قرابة ولهذا سابقة ولم يكن لهذا سابقة فابتليا جميعاً.

وسئل المعافي بن عمران: أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فغضب وقال للسائل: أتجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين؟ معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله.

وقال أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي: معاوية ستر لأصحاب محمد ﷺ، فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه.

وقال الميموني: قال لي أحمد بن حنبل: «يا أيا الحسن، إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام».

وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله يسأل عن رجل تنقص معاوية وعمرو بن العاص فقال: إنه لم يجتريء عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقص أحد أحداً من الصحابة إلا وله داخلة سوء.

وقال ابن المبارك عن غير واحد: «ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قط إلا إنساناً شتم معاوية فإنه ضربه أسواطاً»[1].

---

(١) أثر العبادات في حياة المسلم عبد المحسن بن حمد العباد البدر، ص٤٦.

قال محب الدين الخطيب رحمه الله: سألني مرة أحد شباب المسلمين ممن يحسن الظن برأيي في الرجال ما تقول في معاوية؟ فقلت له: ومن أنا حتى اسأل عن عظيم من عظماء هذه الأمة، وصاحب من خيرة أصحاب محمد ﷺ، إنه مصباح من مصابيح الإسلام، لكن هذا المصباح سطع إلى جانب أربع شموس ملأت الدنيا بأنوارها فغلبت أنوارها على نوره[١].

حسن سياسته:

كان معاوية رضي الله عنه موضع ثقة الخلفاء الراشدين من بعد رسول الله ﷺ، والحق أن معاوية كان أهلاً لهذه الثقة؛ فلذلك ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام بعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان، ثم جاء بعد عمر عثمان بن عفان رضي الله عنهما فجعل معاوية والياً على الشام كلها، وحسبك بمن ولاه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما؛ فقد كان معاوية رضي الله عنه أهلاً للإمارة والخلافة معاً، ومن أجل هذه الأهلية ظل أميراً على الشام عشرين سنة، وخليفة للمسلمين ما يقرب من عشرين سنة، فلم يهجه أحد في دولته بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم، وكان ملكه على الحرمين ومصر والشام والعراق وخراسان وفارس والجزيرة واليمن والمغرب وغير ذلك.

ذكر الطبراني في تاريخه، والبلاذري في أنساب الأشراف:

لما قدم عمر ابن الخطاب الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم وهيئة؛ فلما دنا منه قال: أنت صاحب الموكب العظيم؟ قال: نعم.

قال: هذا حالك مع ما بلغني عنك من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: نعم.

---

(١) حاشية محب الدين الخطيب على كتاب العواصم من القواصم، ص٩٥.

قال: ولم تفعل ذلك؟

قال: نحن بأرضٍ جواسيسُ العدوِّ بها كثير، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يرهبهم فإن نهيتني انتهيت.

قال: يا معاوية، ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، لئن كان ما قلتَ حقاً إنه لرأى أريب، وإن كان باطلاً، فإنه لخدعة أديب. قال: فمُرْني.

قال: لا آمرك ولا أنهاك. فقيل: يا أمير المؤمنين، ما أحسن ما صدر عما أوردته[١].

وعن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن ابن عمر، قال: ما رأيت أحداً بعد رسول الله (ﷺ) أسود ـ يسود الناس ـ من معاوية. فقيل له: هو أسود من أبي بكر؟ قال: كان أبو بكر خيراً منه، وهو أسود من أبي بكر. قيل: فعمر؟ قال: كان عمر خيراً منه وهو أسود من عمر، قيل: فعثمان؟ قال: كان عثمان خيراً منه وهو أسود من عثمان[٢].

وعن ابن عباس أنه قال: ما رأيت أحداً كان أخلق للملك من معاوية[٣].

ولما مات زياد وفد ابنه عبيد الله على معاوية فقال له: من استخلف أخي على عمله بالكوفة؟ قال: عبد الله بن خالد بن أسيد. قال: فعلى البصرة؟ قال: سمرة بن جندب. فقال له معاوية: لو استعملك أبوك استعملتك.

---

(١) الطبراني في تاريخه، ٥/ ٣٣١، أنساب الأشراف، ٤/ ١٤٧.

(٢) البداية والنهاية، ٨/ ١٤٣.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٩/ ١٧٩.

فقال عبيد الله: أنشدك الله أن يقولها أحد لي بعدك: لو ولاك أبوك وعمك وليتك، فولاه خراسان وأوصاه، فقال: اتق الله ولا تؤثر على تقواه شيئاً، وقِ عرضك من أن تدنسه، وإذا أعطيت عهداً ففِ به، ولا تبيعن كثيراً بقليل، وخذ لنفسك من نفسك، ولا يخرجن منك أمرٌ حتى تبرمه، فإذا خرج فلا يردن عليك، وإذا لقيت عدوك فغلبك على ظهر الأرض فلا يغلبنك على بطنها، وإن احتاج أصحابك إلى أن تواسيهم بنفسك فواسهم، ولا تطمعن أحداً في غير حقه، ولا تؤيسن أحداً من حق هو له.

كان معاوية يأذن للأحنف في أول من يأذن له، فأذن له يوماً، ثم أذن لمحمد بن الأشعث، فجاء محمد فجلس بين معاوية وبين الأحنف، فقال له معاوية: لقد أحسست من نفسك ذلاً، إني لم آذن له قبلك ليكون في المجلس دونك، وإنا كما نملك أموركم نملك تأديبكم، فأريدوا ما يراد بكم، فإنه أبقى لنعمكم وأحسن لأدبكم[١].

يقول العلامة ابن خلدون: إن دولة معاوية وأخباره كان ينبغي أن تلحق بدول الخلفاء الراشدين وأخبارهم، فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة[٢].

شجاعته وجهاده وفتوحاته:

يقول ابن الزبير بأن الليث الحَرِبَ ليس بأجرَأَ من معاوية.

وقد شهد معاويةُ مع النبي ﷺ حُنيناً والطائف، وشهد غزوة تبوك، وهي العُسرة.

وفي أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه شهد حرب المرتدين في اليمامة.

---

(١) التذكرة الحمدونية علي بن حمدون، ١/ ١١١.

(٢) العواصم من القواصم، ص٢١٣.

ثم جمع أبو بكر أناساً ووجههم إلى الشام، وأمَّر عليهم معاوية، وأمرهم باللحاق بيزيد بن أبي سفيان، وهي أول مهمة قيادية يتولاها معاوية.

ثم صَحِبَ أخاهُ يَزيدَ أميرَ الشام في فُتوحها، وشهد اليرموك، وفتح دمشق تحت راية يزيد.

وفي عهد عمر بن الخطاب أرسل يزيدُ حملةً بإمرة أخيه معاوية إلى سواحل بلاد الشام فافتتحها.

وكان معاوية من الجيش الذي فتح بيت المقدس، ودخل المسجد مع عمر بن الخطاب ﷺ وعن الجميع، وكان أحد أربعة شهدوا على العَهد العُمَري الشهير.

وفي سنة تسع عشرة زمن عمر كانَ معاويةُ قائدَ فتحِ قَيْسَارِيَّة، من المعارك الفاصلة مع الروم، وكان فيها بَطارِقَتُهم، وقد حاصرها معاوية حصاراً شديداً[1]، وأبلى فيها بلاء كبيراً، فروى ابن أبي عاصم عن عبد الله بن العلاء، قال: ثَغَرَ المسلمون من حائط قيساريةِ فلسطين ثغرة؛ فتحاماها الناس، فكتب عمر إلى معاوية ﷺ بتوليه قتالها، فتناول اللواء وأنهض الناس وتبعوه، فركز لواءه في الثغرة؛ فقال: أنا ابن عنبسة، يريد الأسد[2].

وتولى معاوية إمارة دمشق في عهد عمر بعد وفاة يزيد في طاعون عَمَواس سنة (١٨)، ثم تفرد بإمرة الشام آخر عهد عمر، وقام على ثغورها، وفتح عسقلان، وتتبع ما بقي من فلسطين.

---

(١) الأموال لأبي عبيد، ٢٧٩.

(٢) الآحاد والمثاني، ١/ ٣٨١ بسند صحيح.

وكان قد استأذن عمر في بناء قوة بحرية لمحاربة الروم فلم يأذن.

ثم توفي عمر وهو عن معاوية راض، فأقرّه عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ على إمرة الشام كلها، وكان معاوية يغزو الروم، وكان على رأس صائفة، واستطاع أن يصل إلى عمّورية (موقع أنقرة اليوم)، ومعه عدد من الصحابة، منهم: عبادة بن الصامت، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء، وشداد بن أوس.

وأعاد معاوية طلب بناء قوة بحرية للمسلمين، فوافق عثمان، فبنى أسطولاً، وغزا بنفسه جزيرة قبرص سنة خمس وعشرين[١]. وجاء حديثٌ في فضل أوّل من يغزو البحر من الأمة كما تقدّم، وهو أمير تلك الغزوة، ومعه عدد من الصحابة، وقام بتحصين أسوار سواحل الشام عند ذهابه إلى قبرص، مثل عكا وصور، وأنشأ حصوناً وشحنها بالجند.

عن سعيد بن عبد العزيز قال: أغزا معاوية الناس الصوائف[٢] وشتاهم بأرض الروم ست عشرة صائفة بها وشتوا، ثم يقفل ويدخل معقبتها، ثم اغترهم فأغزاهم يزيد ابنه في جماعة من أصحاب رسول الله (ﷺ) في البر والبحر حتى أجاز بهم الخليج، وقاتلوا أهلها على بابها وقفل، قالوا فلم يزل معاوية على ذلك حتى مضى لسبيله، وكان آخر ما وصاهم به أن شدوا خناق الروم فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم.

وعن سعيد بن عبد العزيز قال: لما قتل عثمان واختلف الناس لم تكن

---

(١) وقيل سنة ثمان وعشرين، وصححه ابن حجر الفتح، ١١/ ٧٦، ونقل أقوالاً أخرى، وانظر الأموال لأبي عبيد، ٤٠٦. تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ١/ ١٨٤، وصححه ص١٨٦.

(٢) الصوائف: التي تغزو في الصيف، والشواتي: التي تغزو في الشتاء.

للناس غازية ولا صائفة حتى اجتمعت الأمة على معاوية سنة أربعين، وسموها سنة الجماعة.

قال سعيد: فأغزا معاوية الصوائف وشتاهم بأرض الروم ست عشرة صائفة تصيف بها وتشتو، ثم تقفل وتدخل معقبتها ثم أغزاهم معاوية ابنه يزيد في سنة خمس وخمسين في جماعة من أصحاب رسول الله (ﷺ) في البر والبحر حتى أجاز بهم الخليج وقاتلوا أهل القسطنطينة على بابها ثم قفل[١].

أقواله:

عن العتبي قال: قال معاوية: أفضل ما أعطي الرجل العقل والحلم، وإذا ذكر ذكر، وإذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا غضب كظم، وإذا قدر غفر، وإذا أساء استغفر، وإذا وعد أنجز[٢].

و قال: ما رفع الحلم عن شريف شرفه، ولا زاده إلا كرماً.

وقال: آفة الحلم الذل.

وقال أيضا: لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم[٣].

أهم أعماله:

مما مضى نستطيع تلخيص أعماله رحمه الله بما يلي:

- كان كاتباً للوحي بين يدي رسول الله ﷺ.
- شارك معاوية جندياً مخلصاً في حروب الردة وقتال المرتدين.
- أول من أسس الأسطول الإسلامي البحري.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٩/ ١٥٩.

(٢) البداية والنهاية، ١١/ ٤٥٣، تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٩/ ١٧٣.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥٩/ ١٨٤.

ـ كانت الفتوح البحرية من أعماله وهو أول من قام بها.

ـ أول من وضع البريد في الإسلام

ـ غزا معاوية بلاد الروم ست عشرة غزوة تذهب سرية في الصيف وتشتو بأرض الروم ثم تقفل وتعقبها أخرى.

ولقد حاول ملك الروم أن يستغل الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، فأرسل إليه معاوية قائلاً: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت[1].

وفاته:

عن ثمامة بن كلثوم، أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال: أيها الناس، إنِّه من زرع قد استحصد، وإني قد وليتكم، ولن يليكم أحد بعدي إلا من هو شر مني، كما كان من وليكم قبلي خيراً مني. ويا يزيد، إذا وفى أجلي فولِّ غسلي رجلاً لبيباً: فإن اللبيب من الله بمكان، فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير، ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله ﷺ، وقراضة من شعره وأظفاره، فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني، واجعل الثوب يلي جلدي دون أكفاني. ويا يزيد، احفظ وصية الله في الوالدين، فإذا أدرجتموني في جريدتي، ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وأرحم الراحمين.

وذكروا أنه في آخر عمره اشتد به البرد، فكان إذا لبس أو تغطى بشيء ثقيل يغمه، فاتخذ له ثوب من حواصل الطير، ثم ثقل عليه بعد ذلك، فقال: تباً لك من دار، ملكتك أربعين سنة: عشرين أميراً، وعشرين خليفة، ثم هذا حالي فيك، ومصيري منك، تباً للدنيا ومحبيها.

---

(١) العواصم من القواصم لابن العربي، ١/ ١٦١، البداية والنهاية لابن كثير، ١١/ ٤٠٠.

وعن عبد الملك بن عمير قال: لما ثقل معاوية وتحدث الناس أنه بالموت قال لأهله: احشوا عيني إثمداً، وأوسعوا رأسي دهناً.

ففعلوا وبرقوا وجهه بالدهن، ثم مهد له فجلس وقال: أسندوني. ثم قال: ائذنوا للناس فليسلموا علي قياماً ولا يجلس أحد.

فجعل الرجل يدخل فيسلم قائماً فيراه متكحلاً مدَّهناً، فيقول متقول الناس: هو لما به، وهو أصح الناس.

فلما خرجوا من عنده قال معاوية:

وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

قال: وكان به التفاتة، يعني لقوة، فمات من يومه ذلك، رحمه الله، ورضي عنه.

وقال محمد بن عقبة: لما نزل بمعاوية الموت قال: يا ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى ولم أَلِ من هذا الأمر شيئاً.

وقال أبو السائب المخزومي: لما حضرت معاوية الوفاة تمثل بقول الشاعر:

إن تناقش يكن نقاشك يا رب عذاباً لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز وأنت ربٌّ رحيم عن مسيء ذنوبه كالتراب

وقال بعضهم: لما احتضر معاوية جعل أهله يقلبونه فقال لهم: أي شيخ تقلبون إن نجاه الله من النار غداً؟!

وقال محمد بن سيرين: جعل معاوية لما احتضر يضع خداً على الأرض، ثم يقلب وجهه، ويضع الخد الآخر، ويبكي ويقول: اللهم إنك

قلت في كتابك: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء [النساء: ٤٨]. اللهم فاجعلني ممن تشاء أن تغفر له.

وقال العتبي عن أبيه: تمثل معاوية عند موته بقول بعضهم وهو في السياق:

هو الموت لا منجى من الموت والذي أحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال: اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرج غيرك، فإنك واسع المغفرة، ليس لذي خطيئة من خطيئته مهرب إلا إليك.

وقال غيره: أغمي عليه ثم أفاق، فقال لأهله: اتقوا الله، فإن الله تعالى يقي من اتقاه، ولا يقي من لا يتقي، ثم مات رحمه الله.

ولا خلاف أنه، رضي الله عنه، توفي بدمشق في رجب سنة ستين.

فقال جماعة: ليلة الخميس للنصف من رجب سنة ستين.

وقيل: ليلة الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين، قاله ابن إسحاق وغير واحد.

وقيل: لأربع خلت من رجب، قاله الليث. وقال سعد بن إبراهيم: لمستهل رجب[1].

قبر معاوية رضي الله عنه:

توفي معاوية رضي الله عنه في دمشق، ودفن فيها، واختُلِف في موضع قبره، والموضع الأشهر عند المؤرخين والمعروف اليوم: هو في الركن الجنوبي لمقبرة باب الصغير، داخل غرفة طينية صغيرة متهدِّمة، وقربه قبور العلماء:

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ١١/ ٤٥٧. ومابعدها.

نصر المقدسي، وابن عساكر، وابن رجب، والبرهان الناجي، وغيرهم، وقد خرَّبَ القبرَ بعضُ الرافضة، وتُعُمِّدَ إهمالُ القبر بسَعيهم، بخلاف القبور المنسوبة لآل البيت هناك، وهي لهم فوق بيوت الله تعلقاً واعتناء.

ومن اللطائف ما ذكره ابنُ حِبَّان في مشاهير علماء الأمصار[١] وغيرُه أن يزيدَ بن معاوية دَفَنَ رأسَ الحسين بن علي في قبر معاوية ﷺ، فإن صحَّ ذلك فيكون الرافضة قد آذوا إمامَهم أيضاً.

ولكن شيخَ الإسلام ابنَ تيمية، وابنَ المحب، وابن طولون، يقولون: إن معاوية بن أبي سفيان مدفونٌ قِبْلِي حائط جامع دمشق (الأُمَوي)، وأن القبرَ الذي في باب الصغير هو لحفيده الخليفة الأموي الثالث: معاوية بن يزيد بن معاوية رحمه الله، وهذا ذُكر في ترجمته أنه دفن في الباب الصغير، والله أعلم[٢].

بين معاوية وأهل البيت العلويين رضي الله عنهم جميعاً:

قدّر الله لحِكمة يشاؤها الاقتتال بين علي ومعاوية ﷺ، ولا يشك مسلم أن علياً رضي الله عنه أولى الطائفتين بالحق، وبعيداً عن الخوض في هذه المجريات الأليمة ينبغي تقرير أن الصحابة ليسوا بمعصومين، وأنهم بشر يقع منهم وبينهم الغضب والخصومة والتألم والانزعاج، ثم يقفون على الصلح والمودة، ولا يبلغ ذلك دينهم، والله يغفر لهم.

فهذان خير الأمة أبو بكر وعمر وقع بينهما الخصام، كما في صحيح البخاري[٣] من قصة وفد تميم، وهو سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾.

(١) مشاهير علماء الأمصار، ص٧.

(٢) انظر الثقات لابن حبان، ٢/ ٣٠٦، المنتظم لابن الجوزي، ٥/ ٧١، الروضتين لأبي شامة، ١/ ٢٨٥، وبغية الطلب لابن العديم، ٢/ ٨٢٩.

(٣) صحيح البخاري، ٤٨٤٥.

وقد اختصم عليٌّ وعمه العباس في قصة فدك إلى عمر، ووقع بينهما كلام أمامه، كما في صحيح البخاري[١].

بل قد حصل ذلك لمن هو خير منهم، فقد تألم موسى وانزعج من أخيه هارون، وأخذ بلحيته يجره إليه، كما جاء في القرآن الكريم.

وتألم نبيُّنا محمد ﷺ لابنته فاطمة وغضب لها لما بلغه أن علياً رضي الله عنه عزم على الزواج بابنة أبي جهل.

فكل ذلك لم يُنقص رتبتهم، وما ثنانا عن حبهم وتوقيرهم، غير غالين فيهم، ولا مجافين عنهم[٢].

قال الأعمش الكوفي عن شيعة بلده: حَدَّثْناهم بغضب أصحاب محمد ﷺ فاتَّخذوه ديناً[٣].

وقال الذهبي في المقدمة الزَّهْرا ضمن كلام بديع في نقض النص الذي تزعمه الشيعة في الإمامة: «فلما استشهد الإمام علي أقام الحسن، ثم أقبل في كتائب مثل الجبال، ومعه مئة ألف عنان يموتون لمَوته، فما الذي جعله في ثقة من تسليمِ الأمر إلى معاوية؛ وإعانته على الضلال وإبطال العهد النبوي إليه وإلى أبيه؟! ثم يوافقه على ذلك أخوه الحسين الشهيد ويسكت!! فما نقض يوماً بيعة معاوية أبداً[٤].

فلمّا مات معاوية قام الحسين، وسار يطلب الإمارة، ويخرج من

---

(١) صحيح البخاري، ٤٠٣٣.

(٢) انظر المقدمة الزَّهْرا للذهبي، ص٩٨وما بعدها.

(٣) رواه الفسوي في المعرفة، ٢/ ٧٦٥، ومن طريقه ابن عساكر، ٣٢/ ٩٣ وسنده صحيح.

(٤) المقدمة الزَّهْرا، ص١١٢.

القعود عن الحرب، فقاتل حتى استُشهد رضي الله عنه، فلولا أنه رأى مبايعته لمعاوية سائغة لفعل معه كما فعل مع يزيد!

هذا لا يماري فيه منصف، فإن السبطين سلما الأمر إلى معاوية طائعين غير مكرهين، وعن منعة وجيش لجب، فدل ذلك على أنهما فعلا المباح، وأصلح الله تعالى بين الأمة بالسيد الحسن، وحُقِنت الدماء، وسكنت الدهماء، وانعقد الإجماع على مبايعة المفضول الكامل السياسة مع وجود الأفضل الأَكمل، ولله الحمد.

ولو امتنع السبطان في ذلك الوقت ـ ونواصي العرب في يد الحسن ـ لأوشك أن يكون لهما النصرة على أهل الشام».

وهذه المسألة إنما يثيرها الرافضة ومن تأثر بهم، ليست القضية عندهم مسألة أحقية معاوية أو أخذه البيعة ليزيد من بعده، بل عندهم مسألة خلافة الثلاثة من قبل، وإنما مسألة معاوية وبني أمية كلها لأجل إثارة العوام والجهلة فقط وإيقاع الفتنة وإحياء الخلافات، وللأكمة ما وراءها.

قال ابن تيمية: اتفق أهل السنة على أنه لا تفسق واحدة من الطائفتين، وإن قالوا في إحداهما إنهم كانوا بغاة، لأنهم كانوا متأولين مجتهدين، والمجتهد المخطىء لا يكفر ولا يفسق؛ وإن تعمد البغي، فهو ذنب من الذنوب، والذنوب يرفع عقابها بأسباب متعددة: كالتوبة، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وشفاعة النبي ﷺ، ودعاء المؤمنين، وغير ذلك[1].

وقد نص جماعة، منهم ابن حزم في الفصل والذهبي في جزئه

(١) منهاج السنة، ٤/ ٣٩٤.

«المقدمة الزهرا في إيضاح الإمامة الكبرى»: أن الحق مع علي، وأن معاوية مخطئ مأجور مجتهد[١].

وقال عمار رضي الله عنه لما سئل: أرأيتم صنيعكم مع علي، أرأياً رأيتموه أو شيئاً عهده إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ بشيء.

ولذلك فقد اعتزل عامة الصحابة القتال، وعلى رأسهم سعد بن أبي وقاص (وهو من العشرة المبشرين)، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة.

وصح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قيل له: ألا تقاتل! فإنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك؟ فقال: لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان، يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد[٢].

(١) ابن حزم في الفصل، ٣/ ٦، الذهبي في جزئه «المقدمة الزهرا في إيضاح الإمامة الكبرى»، ص٨٤.

(٢) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة، ١/ ١٣٥ ويخرج، وانظر تاريخ بغداد، ٦/ ٤٤، وابن عساكر، ٥٩/ ١٤١.

obeikandl.com